

عبر "تيك توك" .. قتلة متسلسلون إسرائيليون يستمتعون بممارسة الإرهاب العنصري في غزة



ترجمة وتحرير: نون بوست

إن مشهد الإبادة الجماعية غالبًا ما يكون مشهد ضحية العنف الواضح الذي تم تجريده من إنسانيته تمامًا من خلال حالة السجن والانتهاك والتقطيع والتجويع والتعذيب.

ففي غزة، لا تتوقف الصور، تسيطر عليك في يأس لا مفر منه، الأطراف المبتورة، والجثث المتعفنة، والأسر التي أبيدت، والأكياس المليئة بأشلاء أجساد المقربين، والآباء الثكالي في حالة من الكرب، والأطفال مصدومين ويموتون ويتضورون جوعًا، والأمهات يصرخن في يأس؛ كلها مقتطفات مروعة من الحجم المتزايد للخسارة مأخوذة من المشاهد المروعة في القرن الحادي والعشرين.

ليس هناك ندرة في صور الفظائع التي تتكشف؛ فالفلسطينيون يقدمون صورًا للعالم عن الإبادة الجماعية التي تُرتكب ضدهم، ولكن كل يوم، هناك مستوى جديد من الإجرام الوحشي، وليس هناك أي صورة أو كلمات مؤسسية - "الإرهاب"، أو "الحرب"، أو "انتهاكات حقوق الإنسان"، أو حتى "الإبادة الجماعية" - قادرة على تصوير أعماق هذه الفظائع، أو تمكيننا من فهمها على نحو كاف. ولا ينبغي لتلك الكلمات أن تفعل ذلك.

ومع غياب المحاسبة؛ تصبح هذه المشاهد استفزازات وتأكيدات ملزمة ومباشرة تبعث برسالة إلى العالم

مفادها أن هذه قوة لا يجرؤ أي قانون على الحديث عنها.

والأسوأ من ذلك هو أنه يتم الحكم علينا باليأس والشفقة أمام أكبر جريمة قتل جماعي في عصرنا. ويتم انتقاد صدمتنا ورحبنا وحرزنا على أنها لوائح اتهام بمعادة السامية والتعاطف مع الإرهاب والإجرام في العديد من المجتمعات التي تخضع بالفعل لرقابة مشددة.

تنظيم مسرح الجريمة

ولكن بينما يوثق الفلسطينيون بشكل يائس الإبادة الجماعية التي تُرتكب بحقهم، هناك مشهد آخر يستحوذ عليك بسبب فساده المطلق: بث وعرض استمتاع الإسرائيليين بذلك العنف.

إن العرض المسرحي المنتهك للأخلاقيات والشهادة المتلصقة لهما تأثير ذاتي التحقق، ومع اللامبالاة القاسية تجاه الإصابات التي يسببونها، يشاركنا الجنود الإسرائيليون رغبتهم المزعجة في الاستمرار في السيطرة على منازل الفلسطينيين المشردين، وربما الموتى، التي أصبحت الآن خالية.

ويتطفل الجنود الإسرائيليون على عالم الفلسطينيين الخاص وينتهكونه في انغماس جذل، ويتباهون بالملابس الداخلية النسائية على الجدران، وعلى المركبات العسكرية، وعلى أجسادهم، ويداعبون حلماتهم بشكل هزلي.

إن الافتقار إلى الخجل في هذه الصور - بدءًا من مقاطع التيك توك المحرجة للأوروبيين الذين يرقصون بشكل غريب وهم متنكرون في زي مقاتلين من أجل الحرية من السكان الأصليين إلى السرقة الصارخة من المنازل المهجورة قسرًا - أمر فحج بقدر ما هو مقلق.

قد يوحي الخجل بوجود جمهور يشهد ويحكم، لمن يقدم هؤلاء الجنود أنفسهم؟ من المعني بمشاهدتهم؟ هذا سؤال معقد لأنه إذا كان هذا استعراضًا للقوة، فلصالح من هو؟

وأسبوعًا بعد أسبوع، يظهر المسؤولون الإسرائيليون في وسائل الإعلام بمطالبة صماء بأن يُنظر إليهم على أنهم الضحية.

وفي الوقت نفسه، أعرب الإسرائيليون العاديون على وسائل التواصل الاجتماعي عن أبشع عنصرية منذ أوائل القرن العشرين؛ حيث ضحكوا وهم يعترفون برغبتهم في قتل الفلسطينيين، إن لم يكن أثناء قتلهم بشكل مباشر.

لقد أصبحنا متفرجين غير راغبين في هذه المتعة المروعة من الإرهاب العنصري التي شهدتها تاريخ طويل من القتل المتسلسل، من العبودية وجيم كرو إلى حملات التعذيب والاستعمار العسكرية.

في هذا التاريخ المنحرف، كان لا بد من أن يكون الإرهاب الذي وقع على المجتمعات المقهورة شاملاً عندما يواجه المعارضة.

الأوهام الاستعمارية

في سنة 1492؛ وبينما كان ينقل أسطول محاكم التفتيش يصل وإلى الجنوب العالمي، وصف كريستوفر كولومبوس الأرض بأنها ثدي وخط الاستواء هو "حلمتها"؛ القمة الأقرب إلى السماء.

إن الكتابة الاستعمارية مليئة بالأوصاف الأنثوية المثيرة للأراضي التي تم تخيل أنها منتشرة، وجاهزة للاكتشاف والغزو من خلال الاستكشاف الذكوري.

لقد سافر الرجال الأوروبيون إلى "الشرق" ليكتشفوا من جديد كيف يكونون رجالًا بلا حدود، وفي هذا الخيال الاستعماري للسيادة يتقاطع العرق والجنس.

ومن خلال تحديد الأبعاد الجنسية للنتاج الثقافي والسياسي للاستعمار، وصف الكاتب الفلسطيني إدوارد سعيد كيف تصور الاستعمار نفسه كقوة ذكورية من خلال إبراز شرق جنسي و"أنثوي" يحتاج إلى الاختراق والحياة

يتطفل الجنود الإسرائيليون وهم يمارسون الانتهاك والسخرية على الحياة التي من المرجح أنهم أبادوها أو التي فر أصحابها بلا شك بحثاً عن الأمان الذي لم يصل بعد، ويتدخلون ويمارسون عدوانهم بنفس الطريقة.

تمثل السرقة الاستعمارية والتحريض الإباضي مشاهد تاريخية للسفور الاستعماري، من دخول حريم الاستعمار، وإذا رُفع الحجاب عن أجساد النساء المسلمات، فإنها ستعود بنا إلى التواريخ المستثمرة في أجساد نظمتها إرادة استعمارية للسيطرة على العوالم والشعوب.

ففي الجزائر. التي كانت تحت الاحتلال الفرنسي. لاحظ فرانز فانون كيف أن المرأة المحجبة تحجب بملابسها النظرة الاستعمارية وتنكر سيطرتها على الأرض والأجساد، وهو ما أثار لدى المستعمر رغبة جنونية لا تشبع في اكتشاف الهوامش واحتلالها وكشف ما خفي.

ونظمت السلطات الفرنسية، المنبهرة والقلقة بشأن ما خفي، مراسم "كشف" علنية للنساء الجزائريات لكشف أسرارهن، وكشف ما يخفينه، وإظهار خضوع الجزائر الثقافي والسياسي لفرنسا من خلال إخصاء الرجال الجزائريين وإذلالهم.

لقد بلورت ملاحظات فانون في الجزائر المحتلة الصراع على المعرفة كصراع متشابك من العنف والتمتع والإرهاب العنصري.

وبعد عقود من الزمن؛ ظل المستعمرون في فلسطين مستوطنين، يحفرون ويغرسون أنفسهم في الأرض، ويستخرجونها من أجل الدغدغة الدائمة واكتشاف الذات.



ردة فعل امرأة فلسطينية وهي تجلس وسط أنقاض مستشفى الشفاء في غزة بعد هجوم عسكري إسرائيلي على المجمع في 1 نيسان/أبريل

لقد تم عكس اتجاه غزة في التصنيف الاستعماري إلى "أرض قاحلة" عن طريق المرحلة الأخيرة من الاستعمار الاستيطاني، كما يقول الباحث أحمد بول كيلر، مما أدى إلى تسريع وتيرة العنف والموت والدمار والتشريد.

ومع ذلك، وكما لاحظت آن مكلينتوك، فإن الخريطة الاستعمارية هي عبارة عن تكنولوجيا للمعرفة تدعي وجود حقيقة علمية حول الأرض، لكن المساحات الفارغة وحواف الخريطة التي تحدد حدود المعرفة تزرخ بجنون العظمة؛ حيث يهدد الوحوش والحوريات وأكلي لحوم البشر بالعبور.

وفي ظل الضراوة المحمومة التي تمارسها إسرائيل في غزة بعد انتهاك حدودها الوطنية المتصور في 7 تشرين الأو/أكتوبر 2023، أليس هذا هو الخوف من عبور الحدود والتلوث؟ أليست هذه هي المخاطرة بالهوامش؟ والغضب من وجودها؟

في كتابته عن الإرهاب العنصري، يرى عالم الأنثروبولوجيا مايكل توسيج أن هناك فائضًا في العنف الاستعماري لا يمكن لأي هدف اقتصادي أو عسكري أو سياسي أن يفسره بشكل كامل. الإرهاب الذي يحدث هو الغرض في ذاته.

"رجال مسلمين خطيرين"

لكي يركز الجمهور الإسرائيلي والغربي أعمال العنف والأذى الأخلاقي على يوم 7 تشرين الأو/أكتوبر، يجب عليهم أن يتحايلوا ليس فقط على تاريخ الفصل العنصري والاحتلال في فلسطين، بل أيضًا على الفئات التي تلت ذلك، وهذا ما تبرره الأفكار العنصرية المتأصلة في تاريخ الاستشراق والإسلاموفوبيا حول الذكورة العربية والإسلامية.

ولنتأمل هنا الموضوع الذي يغلب عليه التمييز بين الجنسين والمتمثل في العروض المنحرفة التي يقدمها الجنود الإسرائيليون، إلى جانب الاتهامات المتكررة بارتكاب جرائم اغتصاب جماعي في السابع من تشرين الأو/أكتوبر.

لقد ظهر مسرح احتجاجي منبثق في المدن الغربية؛ حيث يرتدي أنصار إسرائيل سراويل ملطخة بدم مزيف على أعضائهم التناسلية كتمثيل فاسد آخر لعمليات الاغتصاب المزعومة.

ومن خلال مناشدة المرأة البيضاء المعرضة للخطر واستخدامها كسلاح لأنها مشتبهة من قبل الرجال السود والعرب والمسلمين الذين لديهم خيالات جنسية عنيفة، تدعو هذه الاحتجاجات الرجال البيض وصناعات الموت الخاصة بهم إلى خوض الحرب من أجلهم.

ويتم تصوير حماس على أنها قوة ذكورية إسلامية خطيرة لا يمكن التعامل معها، بل مطاردتها والقضاء عليها فقط؛ حيث إن حصر الجريمة على المنفرج بين الرجلين الملطخ بالدماء، باعتباره المسرح الوحيد للجريمة، لا يتغاضى عن الاحتلال فحسب، بل حتى عن العنف الجنسي ضد النساء والفتيات الفلسطينيات من قبل الجنود الإسرائيليين، ليسمح بالمطاردة الانتقامية.

إن القصص المتكررة عن عمليات الاغتصاب الجماعي، وتشويه الأتداء، وقطع رؤوس الأطفال تستحضر صورًا نمطية عنصرية عن العرب والمسلمين باعتباره كارهين للنساء وعنيفين بشكل مروع، ويتم تداولها بسبب وجود مصالح سياسية.

ولذلك، فإن التصحيحات والأدلة المطلوبة من صحف مثل صحيفة نيويورك تايمز، التي كلفت كاتبًا عن الطعام بكتابة تقرير عن القصة، تخطئ الهدف.

وحقيقة ما حدث في ذلك اليوم لا علاقة لها بالقصة، فهناك جمهور جاهز لاستقبال مثل هذه القصص عن العنف الهمجي والشرير الذي يمارسه العرب والمسلمون وانحرافهم الجنسي.

إن ما يهم هو رواية القصاص والخيال الذي تثيره حول مخاطر الذكورة الإسلامية.

وإلا كيف نفسر قطع تمويل الأونروا من قبل الدول الغربية دون إجراء تحقيق؟ ويُنظر إلى الرجولة الفلسطينية - باعتبارها عربية ومسلمة - على أنها وحشية في هذه الاتهامات، التي تستمر لأنها قابلة للتصديق لدى الجمهور الغربي.

لا ينبغي التقليل من البعد الرهابي لهذه الأوهام العنصرية المتعلقة بالذكورة الخطيرة.

وعلى النقيض من الرجولة الرومانسية للأوكرانيين الذين يعارضون الغزاة الروس؛ فإن ذكورة حماس لا تجسد فقط شر تنظيم الدولة الإسلامية، وكراهية النساء والفصل العنصري بين الجنسين لدى حركة طالبان، ومهارات التآمر التي يتمتع بها تنظيم القاعدة، لكنها تجسد أيضًا الإرادة السياسية الإسلامية اعتبارها انحرافًا وتتعارض مع الحياة الحديثة. إنها الإرادة التي إذا لم يتم إخمادها أو الالتزام بإراقة الدماء بشكل دوري، من خلال طقوس "جز العشب"، فسوف تنهض وتضرب الغرب بالسيف، وهو الخيال الذي طالما روج له الأدب الاستشراقي حول التهديد الوجودي الذي يشكله الإسلام.

إن المرأة البيضاء المهتدة بالانقراض والتي تلعب دورًا محوريًا في خطاب الإدانة ضد حماس، لا تسمح فقط بالمطاردة، ولكنها تجيز العنف الوحشي الذي يرتكبه الجنود الصهاينة.

إن الإصرار على العضو الذكري المملوح بالدماء، سواء كان حقيقيًا أو متخيلاً، في الوقت الذي يرتكب الجنود الإسرائيليون ويوثقون عن عمد سلوكًا قبيحًا ومنحرفًا وقاسيًا هو أمر وقح بقدر ما هو محير.

"الاعتلال النفسي الاستعماري"

وبعيدًا عن الولوج الجنسي بالأشياء الشخصية الفلسطينية، كما لو كان ذلك للسخرية من عالم المسلمين الغربي، يتم توفير عروض أخرى من الحقد والانحراف.

وفي مقاطع فيديو لا تعد ولا تحصى، يظهر الجنود الإسرائيليون وهم يرتدون وجوهًا بنية وسوداء، ويسخرون من الفلسطينيين المعذبين والنازحين، ويسخرون من الفلسطينيين الذين يتضورون جوعًا عن طريق حرق أو سرقة طعامهم وطهيته في مطابخهم المهجورة، مقلدين عرض الطبخ.

وبينما يصورون أنفسهم وهم ينهبون، ويبحثون في متعلقاتهم الشخصية، وينقبون ويستخرجون خصوصيات الحياة الفلسطينية، هناك شيء وحشي في هذا الأمر إلى استهلاك كل شيء يتعلق بالعدو الآخر؛ حيث تذكرنا وجوه الجنود الساخرة والمبهجة والمبهجة بالمجانين القتلة أو النماذج الشيطانية في أفلام الرعب، الذين يطاردون ضحاياهم بمتعة مرضية.

Jabalia Refugee Camp, Gaza city |

Israeli soldiers hanging a lingerie belonging to a woman from Gaza on their military vehicle.

Source: Israeli soldier Itay Sherer on his facebook account.

Link to the post with the picture: <https://t.co/Zej7DZGm5h>
pic.twitter.com/htDzF6jold

— Younis Tirawi (@ytirawi) February 4, 2024

كما هو الحال مع القتل المتسلسلين، هناك قدرة مطلقة - اعتلال نفسي استعماري - حاضرة في هذه الوجوه ووقاحة الجريمة، لكن في القتل المتسلسل، نادرًا ما يكون سفك الدماء كافيًا. إن الحاجة إلى تأمين الجوائز كأداة استمناة لإحياء العنف تصبح إجبارًا ضارًا.

لذلك ليس من قبيل الصدفة أن يتم وضع وسائل التواصل الاجتماعي في خدمتها الشريرة لأنها تقدم للقتلة المتسلسلين العودة إلى مسرح الجريمة وتسهل خيال السيطرة الكاملة على الضحية؛ أي القتل مرارًا وتكرارًا.

وفي حين أن عبارة "كل اتهام هو اعتراف" أصبحت شائعة بين مؤيدي فلسطين الذين يعتبرون المزارع الإسرائيلية بمثابة إسقاط لجرائمهم في غزة؛ فإن تكرار قصة العنف هذه قد يثير في مرتكب الجريمة متعة سرية للعودة إلى مشهد الجريمة.

ويمثل السجل المرئي المروع لجرائم الجنود الإسرائيليين ضد النساء الفلسطينيات خروجًا حادًا عن الرواية الغربية المتمثلة في شن الحرب باسم "إنقاذ" النساء المسلمات. في الواقع، يعود التحديث الإسرائيلي لهذه الصيغة إلى الطبيعة الوحشية لدوافعها: لم يكن من الممكن إنقاذ النساء المسلمات أبدًا، بل تم استخدامهن كدروع بشرية من أي إداة يمكن أن تكشف همجية الديمقراطيات الليبرالية الغربية الشبيهة بالذئاب ورغبتها في القتل الجماعي.

الذكورة والحروب الثقافية الغربية

وبتوسيع النطاق السياسي، ماذا تعني هذه العروض العلنية للقوة الجنسية والعرقية في وقت تهيم فيه أزمة الذكورة على الحروب الثقافية في الغرب؟

لقد ألقى إسرائيل، الدولة التي تدعي أنها تتعرض للتهديد من قبل عالم عربي وإسلامي معاد، بتحديثها الخاص في ساحة المعركة الثقافية.

في الحروب الثقافية الحالية، تحول الرجال المظلومون من مختلف الطيف السياسي والثقافي، الذين لم يشعروا بأن لهم مكانًا في العالم الغربي المعاصر، إلى شخصيات إنقاذ مثل جوردان بيترسون، وأندرو تيت، وثقافة الذكورة الدفاعية المتنامية عبر الإنترنت.

وفي حربه ضد "اليسار الراديكالي" واعتدائه الثقافي على الأسرة، بدأ اليمين البديل في السنوات الأخيرة ينظر إلى الإسلام ومثل الرجولة الإسلامية كوسيلة دفاع حازمة ضد هذه القوى. وردًا على الثناء على "الشريعة البيضاء"، أشار المحيط الإسلامي الناشئ إلى شهية جديدة لدى بعض الرجال المسلمين للتوحد حول الدفاع عن الذكورة التقليدية.

ولكن أين كان هذا لينتهي بإسرائيل، التي طالما اعتبرت نفسها محاصرة ومتنافسة مع الذكورة الأوروبية العنيفة وأوهام الذكورة الشرقية؟

إن كل الأوهام الوطنية المتعلقة بالتفوق العنصري تطاردها هوامش غامضة حيث يخفت الخيال، ويصبح أقل استقرارًا عندما يواجه حدوده الخاصة، وهو ما يصفه التحليل النفسي بالخصاء.

بالنسبة لإسرائيل، التي روجت لنفسها باعتبارها الاستثناء - "الديمقراطية الوحيدة" في الشرق الأوسط التي تتمتع بدفاع أمني متفوق - يظهر الإخصاء في إمكانية استبدالها بـ "الآخر" الذي يستطيع اختراق دفاعاتها وحتى حشد حلفائها القدامى في المعارضة.

لذلك، ليس من قبيل التآمر أن نقدر كيف أن إطلاق العنان للعنف ضد غزة بعد 7 تشرين الأول / أكتوبر يعيد تأكيد الحدود الاستعمارية ويعيد الحروب الثقافية إلى الخط العنصري.

أما اليمين المسيحي في الولايات المتحدة، والذي التمس الدعم من المسلمين في أجندة مشتركة للحفاظ على ما يسمى "العائلة التقليدية"؛ فقد أكد من جديد التزامه تجاه إسرائيل ضد جحافل المسلمين. وقد أوضح جوردان بيترسون دعمه للانتقام بعد هجمات حماس، وشجع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو على "إعطائهم الجحيم".

بالنسبة لجيل ما بعد 11 أيلول/ سبتمبر من الرجال المسلمين، فإن ما يسمى "أزمة الذكورة" هي أحد أعراض المظالم السياسية والاقتصادية الأعمق التي اخُزلت في "الحديث الثقافي" وتشخيص خاطئ لإدارة العداوات المتأصلة في عقود من العنف.

ففي مشهد مألوف؛ يتم تجريد مجموعات من الرجال الفلسطينيين المقيدين ومعصوبي الأعين من ملابسهم حتى ملابسهم الداخلية، ويتجمعون معًا، ويُنظر إليهم على أنهم يائسون لاستخدام أجساد أخرى كغطاء.

إن الحرب على الإرهاب تُخرج هذه الصور للجسد العربي والمسلم الذي تعرض للوحشية والمكشوف. كما عادت مشاهد أخرى: التعذيب في سجن أبو غريب، وخليج جوانتانامو، وسجن باغرام، ومراكز الاعتقال، وعمليات التسليم، والغارات لمكافحة الإرهاب.

وفي المشهد الثقافي اليوم، حيث تحدث الأزمات؛ فإن إعادة تداول مثل هذه الصور للتجريد من الإنسانية لا يؤدي فقط إلى إعادة ترسيخ الخط العنصري، بل يستمر في ترشيد انضباط الإرادة السياسية الإسلامية.

ساحة قتل الإسلاموفوبيا

لاستخلاص العبر، هل تعتبر أوجه التشابه التاريخية مع مشاهد القهر الأخرى فعالة؟

ما هو العمل السياسي لتأريخ العنف؟ وما هي أخلاقيات تكرار إكراهات التاريخ المتكررة؟

ويشير التذكر إلى أننا نرغب في ذاكرة مثالية تريحنا من لحظتنا المعاصرة وتعطيها معنى ثابتًا، لكن التاريخ ليس له ضمير وهو خاضع لذكريات الآخرين.

ومع ذلك؛ فإن هذا القرن يعطينا ما يكفي من التاريخ. وقبل وصول المعسكرات، هناك دائمًا كلمات.

لقد شهدت عقود من كراهية الإسلام استثنائيًا صارًا في إشكالية المسلمين باعتبارهم خطرين، وعنيفين، ومربيين، وكارهين للنساء، مما يهيئنا لهذه اللحظة.

لقد شهدت الطبيعة القاسية للإسلاموفوبيا في الحرب على الإرهاب التي كانت لها أهداف الإبادة الجماعية الخاصة بها إبادة الإرادة السياسية الإسلامية في جميع أنحاء العالم؛ حيث مات ما يصل إلى 5.4 ملايين شخص.

لقد أصبح التشهير، والاحتجاز، والتسليم، والتعذيب، والقصف بطائرات مسيرة، والحظر، والتعامل بوحشية مع أجساد المسلمين أو تلك التي تم تحويلها إلى أجساد إسلامية؛ كل ذلك أصبح منطقيًا سليمًا، وقابلًا للتفكير؛ بل وحتى متوقعًا.

ورغم أن متعة الإرهاب العنصري تظل غير قابلة للتفسير؛ فإن كراهية الإسلام هي التي تسلط الضوء على الكيفية التي يقبل بها عامة الناس في القرن الحادي والعشرين بينما يشهدون، لمدة ستة أشهر، إبادة جماعية تتكشف.

المصدر: ميدل إيست آي